بقلم الوجدان

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۞ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۞ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ۞ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ [إبراهيم : ٢٤-٢٧]

في الثانية والنصف ليلا . .

من رسالة أمٍّ إلى أولادها

[هذه رسالة أمّ في سورية إلى أولادها في بلد غربي ، كتبتها بقلب الأمّ المسلمة ، ونحتفظ في نشرها بأسلوبها دون تعديل لأخطاء لغوية أو نحوية محافظة منّا على الروح التي كتبت بها ، إنّما نتجنّب ذكر ما ورد فيها من أسماء أو قد يشير إلى أصحابها من وقائع تفصيلية فهي كما نعلم نموذج لمئات من الحوادث المماثلة تشهدها الأسر المسلمة في سورية الصابرة المجاهدة في هذه الأيام]

أبنائي الغالين .. سلام من الله عليكم ورحمة الله وبركاته ، أسأل المولى أن تكونوا جميعاً في حمايـــة الله تحـــوفكم السعادة وراحة البال

.... الحبيب ، لا أعرف كيف أبدأ رسالتي هذه إليكم ، أؤهنئكم بعيد الأضحى المبارك أعاده الله علينا وعليـــك باليمن والبركة والسعادة .. ثمّ أبدأ بسرد أقصوصة خيالية واقعية مفزعة تصوّروا يا أعزائي هذه القصة

في الساعة الثانية والنصف بعد منتصف الليل والناس نيام يسبحون في عالم الأحلام أفقت أنا من نومي على زوبعة كانت تهزّ الهدوء والسكينة ، كنت بين الحلم واليقظة وكانت ضربات وطرقات قاسية موحشة على بابنا ، فتحـــت عيناي وأنا ذاهلة ماذا أسمع حسبت أن جيراننا قد حصل لأحدهم مكروه وخصوصاً أن والدهم مريض في خطـــر ،

قمت مذعورة إلى الباب وقلت من .. فإذا بصوت يقول افتحي أختي افتحي ، شققت الباب قليلاً ، ويا للهول ما رأيت وحوشاً هائجة على هيئة بشر ، قال أحدهم معنا أمر بتفتيش البيت ، وبدون استئذان دخلوا البيت ، ذهلت للمفاجأة ، ودارت بي الدنيا وكنت أحملق فيهم باستغراب وشعرت بدوخة ، ولم أنتبه أنني في ثياب النوم ، ولم يسنحوا لي الفرصة حتى تغطية رأسي ، واستترت ببشكير كان أمامي ، وبسرعة البرق رأيتهم ورائي ، يا إلهي ، ما هذا ، ستون تنيناً في بيتنا ، تفرقوا في البيت ، وانفردت كلّ جماعة بتفتيش غرفة ، وجد والدك نفسه محاطاً بهم وهم يحملون مسدساتهم وبنادقهم (التوميغان) يقولون له انهض ، لماذا ، أي ذنب ارتكبناه ، ثمّ سألوه عنك وعن .. .. ، أين .. .. ، أخبرهم .. .. مسافر ، أين ، في .. .. ، قالوا لماذا ومنذ متى .. .. قالوا أين .. .. قال نائم في غرفته ، دلّنا عليه ، وما أن نزل إلى الغرفة حتى سبقوه على ضوء البيل الذي معهم ، ووضعوا أيديهم في يدي .. .. وهو نائم قالوا قم معنا ، تصوروا يا أبنائي ما شعوره في تلك اللحظة ، ما إحساسه ، لا سامحهم الله ، إنّ الله وحده أعلم ، صعد معهم وهم ممسكين بيده ، وقد أحاطوه وكأنه مجرم هارب ولا حول ولا قوة إلاّ بالله ، راقبوه ولاحقوه وهو يصعد الدرج متثاقل الخطوات زائغ الصواب ، يسأل نفسه في حرقة ترى ما هو المصير ، وأخذ يلتفت إليهم وهم يحيطون به يسألون بحذر إلى أين ستهرب ، فأجابهم بصوت متهدّج لن أهرب إني صاعد معكم إلى فوق ، أليس هذا ما تريدوه ، قالوا نعم نريد هويتك ، وفي هذه الأثناء كانت جماعة منهم في غرفة .. ينبشوها على ضوء البيل وجماعة أخرى في غرفة الضيوف قلبوا الكنبات والكراسي وفتشوا وراء الستائر وجماعة أخرى في الصالون وكنت أنا أرافق جماعة لغرفة نوم أخواتك البنات ، تصوّروا بنات في مخادعهم بأسرتهنّ نائمات ، وعشرة من الوحوش ببنادقهم فوق رؤوسهنّ يوقظنهن ليتعرفوا على شخصيتهن وهن نائمات ، فتشوا الخزانة خرم خرم ، وقلبوا عاليها سافلها ، سألتهم بإلحاح ماذا بكم ، ماذا جنينا ، ماذا تريدون أجابوا أبداً لا تخافي إجراءات أمنية فقط ، إننا نفتش عن أسلحة أوراق مناشير .. استغربت كثيراً وقلت ماذا ومن أين لنا هذا ؟ .. فتطلعوا إلينا بنظرات شك وريبة في أعماقهم غل وحقد وكراهية .. تصوّر يا .. .. إنهم سوريون من أبناء بلدنا ، والله ما تركوا موضع قدم إلاّ وكانوا به منتشرون ، وكذلك على أسطح العمارة والدرج وحول المنزل ، كلّ هذا كان صباح الجمعة أو ليلة الجمعة بعد منتصف الليل بتاريخ .. .. ، أطلّ فجر ذلك اليوم وفي عيني دمعة مالحة أحرقت وجنتي ساعات طويلة خائفة عليكم ، وكنت طوال هذه الساعات أحاول نسيان ما جرى ، ولو للحظة ، دون جدوى ، وكان ملجئي من هذا الكابوس المخيف هو الاتجاه إلى الله العزيز القدير بالصلاة وقراءة القرآن والابتهال والدعوات بحمايتكم وسلامتكم جميعاً ، وخصوصاً أنت ، يحميك ربي من كلّ مكروه ، وأن يبعد عنا الشبح الأسود الذي تركوه في بيتنا فجعلونا مخنوقين خائفين ، ولكن تقوى الله سبحانه وإيماننا القوي به وبرسوله العظيم ﷺ إن شاء الله سيكون كلّ هذا حجابنا وسلاحنا .. حاولنا أن نخفي الأمر في البداية وطيّ هذه القصة المحزنة ، ولكن فوجئنا بأصحابنا من الجيران يزورنا يواسونا ويهنئونا بسلامتنا ، لم نستغرب لأنّ بيتنا وحارتنا كانت تعجّ بهؤلاء الوحوش ، وسياراتهم ملأت الحارة ضجيجاً وصخباً ورعباً ، هل هم يقصدون أسلحة وأوراق كما قالوا أم أنهم يبحثون عن أشخاص ، الله ورسوله أعلم ، أقسم يا بني

وددت لو أصرخ بأعلى صوتي في وجوههم وأقول نحن لسنا يمينيين ولا يساريين نحن أناس نؤمن بالله ورسوله ونؤدّي فرائضنا وإن شاء الله سيكون ﷻ معنا ، ولكن مع الأسف انخرس لساني وانعقد واختنقت أنفاسي وغاصت

أما عن الأشياء التي افتقدت بقصد السرقة وغيرها فهي فداء لكم جميعاً وفداء سلامتنا وأمننا ، ومن بين الأشـــياء بعض المال ، حوالي .. .. ليرة وأشياء ذهبية وأشياء أخرى ، والحمد لله على كلّ الأحوال ولا حول ولا قوة إلاّ بالله